المقاربة الألسنية للغة الطبيعية بين إكراهات التمثيل الصوري ومرونة التحليل التداولي

The Linguistic Approach to Natural Language: Between the Constraints of Formal Representation and the Flexibility of Pragmatic Analysis

بن شيحة نصيرة[1]* / قندوز الهواري[2]
Benchiha Nacera[1] / Guendouz Lahouari[2]
مختبر السيميائيات وتحليل الخطاب (جامعة أحمد ين بلة، وهران 01)[1]
مختبر الدراسات المتعددة التخصصات في تعليم وتعلم اللغات (جامعة غليزان)[2]
جامعة أحمد ين بلة، وهران 01 (الجزائر)[1] / جامعة غليزان (الجزائر)[2]
University of Oran1.Ahemed Ben Bella (Algeria)[1]/University of Relizane(Algeria)[2]
benchiha.nacera@univ-oran1.dz[1] / lahouari.guendouz@univ-relizane.dz[2]

تاريخ الإرسال: 2025/03/15	تاريخ القبول: 2025/06/29	تاريخ النشر: 2025/09/02

ملخص البحث

يروم هذا البحث استجلاء التحولات العميقة التي شهدتها المقاربة الألسنية للغة الطبيعية، عبر الانتقال من النموذج الصوري القائم على التجريد إلى النموذج التداولي الذي يتفاعل مع الأبعاد التخاطبية للكلام. وفي هذا الإطار، يركز البحث على التحدّيات المنهجية التي واجهت المقاربات اللسانية التي لجأت إلى إجرائية النمذجة والترميز لاسيما عجزها عن احتواء الدينامية الدلالية للخطاب الطبيعي، ويبرز في المقابل كيف أفضت التطورات اللسانية والفلسفية إلى ترسيخ تصور جديد للغة، قوامه الفعل الإنجازي والتأويل التداولي.

ضمن هذا المسعى، حاولنا تقصّى الامتدادات التاريخية والفكرية التي أفضت إلى تحول الدرس اللساني من النزعة الصورية إلى المقاربة التداولية الحجاجية، عبر إبراز المحطات الرئيسة التي أسهمت في بلورة هذا المنظور. كما سلّطنا الضوء على الحضور الفاعل للسياق في تشكيل المعنى، والدور المركزي للبعد الحجاجي في نسج الخطاب الطبيعي، بما يميّزه عن اللغة الاصطناعية التي تنحصر ضمن حدود التعبير النسقي الرمزي المغلق.

وقد خلصت الدراسة إلى أن اللغة الطبيعية ليست مجرد منظومة من العلامات المجردة، بل هي كيان تداولي ينبض بالحياة والحركة والتفاعل، حيث يتجاوز الخطاب حدوده التركيبية إلى آفاق تداولية رحبة، تتجاوز حدث التوصيف والتمثيل النموذجي الذي يسم الخطاب الاصطناعي.

الكلمات المفتاح: لسانيات، لغة طبيعية، صورنة، تداولية، لغة اصطناعية، حجاج.

* بن شيحة نصيرة والبريد: benchiha.nacera@univ-oran1.dz

Abstract :

The research investigates the significant shift in how linguistics studies natural language. It charts the movement away from formal models (which are abstract and rely on fixed representations) towards pragmatic models (which consider the communicative and interactive aspects of speech). The paper focuses on the limitations of early formal approaches, particularly their inability to capture the dynamic nature of meaning in real-world discourse. It then highlights how developments in linguistics and philosophy led to a new understanding of language centered on Illocutionary Acts and pragmatic interpretation.

The research traces the historical and intellectual journey from formalist tendencies to an argumentative pragmatic approach. It emphasizes key milestones in this evolution, the crucial role of context in shaping meaning, and the central function of argumentation in natural discourse. This is contrasted with artificial languages, which are limited to closed, symbolic systems.

The study concludes that natural language is not just a system of abstract signs but a dynamic, interactive, and living pragmatic entity. Discourse in natural language extends beyond its structural (syntactic) boundaries into broad pragmatic realms, surpassing the mere descriptive and modeling functions characteristic of artificial discourse.

Keywords: Linguistics, Natural Language, Formalization, Pragmatics, Artificial Language, Argumentation.

المقدمة:

يتأتّى الحضور الإنجازي للغة الطبيعية وفقا لمقتضيات تفاعلية، تستوجب اللجوء إلى معطيات سياقية، ومراعاة المقام التخاطبي ضمن فضاء تداولي تنخرط فيه الذات المتكلمة لتباشر مشروعها التواصلي بالانصهار مع أطراف الخطاب، «وإبراز البعد التأثيري والإقناعي للغة، والذي لا يظهر في البنية الصورية لنسقها الداخلي فقط»[1]، وإنما يتجلى من خلال السياق التداولي الذي ترد فيه اللغة الطبيعية والسمات الحجاجية التي تتصف بها، حيث يتهيأ للغة التخلص من المجال المعجمي الذي تتأطر ضمنه دلالة الألفاظ بالقوة، لتنفتح على حقل آخر تتكشف من خلاله بالفعل، « باعتبارها وحدات

لغوية مُبلغة لمعان معينة ومستلزمة لذات متلفظة ومقام تخاطبي»[2] يدفع اللغة الطبيعية إلى اكتساب سمات مائزة مخالفة لمنطق تشكل اللغة الاصطناعية الذي يقوم على الترميز الرياضي وإجرائية الصورنة لتوفير نسق شكلي يستجيب لشروط بناء النسق الصوري بعيدا عن مقتضيات التواصل التداولي، وسمة الحجاجية التي تنهض عليها اللغة الطبيعية[3].

في ظل هذا التمايز المنهجي والإجرائي، يمكن أن نتساءل عن مسارات التحول التي خضعت لها التصورات اللسانية في معالجتها للغة الطبيعية؟، وكيفية تأثيرها على فهم المعنى وفقا لإجرائية التفسير الشكلي القائم على التمثيل الصوري من جهة، ونماذج الممارسة التداولية من جهة أخرى؟

ومن ثم، وتبعا لمركزية الموقع الذي شغلته اللغة الطبيعية ضمن سياق الأطروحات اللسانية والفلسفية، تباينت مناويل مقاربتها، تماشيا مع سيرورة تحول المعرفة اللغوية من الأنموذج الصوري الافتراضي إلى الأنموذج التداولي الإنجازي، الذي أحدث« تغييرا طال حتى هندسة اللسانيات، فاكتشاف الأبعاد التداولية للغة فتح أفاقا أرحب، وأنتج أسئلة جديدة»[4] تفاعلت مع وقع السجال المعرفي القوي الذي انبثق إثر ظهور المنعطف اللغوي للفلسفة الذي كان بمثابة « رد فعل على الاختزالية المنطقية»[5] التي يتشكل وفقها النسق الصوري للغة الاصطناعية، حيث يتم عزل اللغة الطبيعية عن محيطها السياقي، واللجوء إلى جبرنة وترميز بنيتها الداخلية والاشتغال على تعويضها واستبدالها بلغة اصطناعية[6] تستمد صلابتها من الكفاءة الإجرائية العالية التي تتمتع بها آلية التحليل المنطقي والرياضي.

01- السياق المرجعي لمقاربة اللغة الطبيعية من المحايثة إلى الحجاجية:

تستدعي المقاربة التحليلية للغة الطبيعية اللجوء إلى آليات إجرائية تستند إلى برنامج قرائي، يتأتّى حضوره المنهجي ضمن إطار نظري يستجيب لمقولات اتجاه معرفي وعلمي معين، ولهذا فإن تفعيل الأدوات الإجرائية لمراودة الخطاب الطبيعي يخضع للأسس المنهجية التي ترتكز عليها المعرفة اللغوية.

ومن ثم، فإن المتتبع للمسار التحولي للمعرفة اللغوية يلحظ تعرضها لانعطافات فكرية مركزية، أدّت إلى تباين في استراتيجية مقاربة اللغة الطبيعية على نحو أفضى إلى تشكّل مسارات معرفية متعارضة، يمكن أن تمثل تحولاتها المنهجية من خلال المقاربة التشجيرية الآتية:

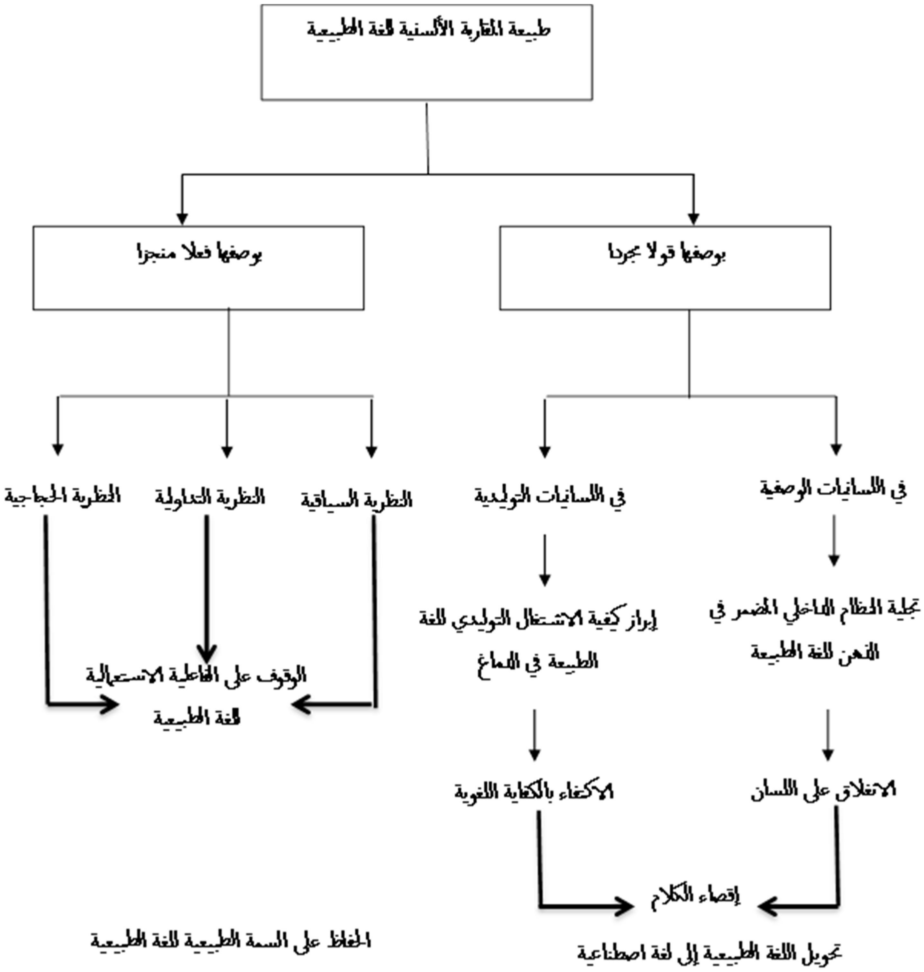

وقد أفضى التباين بين المجال التجريدي والأفق الإنجازي لمقاربة اللغة الطبيعية على المستوى الألسني إلى إفراز تباين صريح في منطق التعامل مع اللغة، تحددت منطلقاته باتخاذ « الموقف التصوري المحدد للتعامل مع موضوع اللسانيات، فلكل اختيار تصوري نتائجه النظرية والمنهجية»[7]، وهو ما تبدّى في النموذج اللساني المحايث، الذي انجذب صوب المجال التجريدي للخطاب الطبيعي، وانغلق على نسقه العلاماتي« وبهذا تعاظم شأن البنيات الداخلية الدقيقة للنسق اللغوي بفضل التحليلات اللسانية والسيميائية وغيرها من المناهج الحديثة في دراسة اللغة إلى درجة أصبحت اللغة في ذاتها أهم من الموضوع الذي من أجله تشكل نسقها الرمزي»[8]، كما تعززت مركزية المقاربة الافتراضية للقدرة اللغوية التي تتأتّى عبر آلية اشتغال المكون التركيبي الذي يفرز الطاقة التوليدية للنظام «الضمني الذي يسير عليه الإنجاز، ويتبعه المتكلم في أداء قواعد لغته»[9]. ومن ثم، انساقت مناويل المقاربة اللسانية للغة الطبيعية –في ظل التصورين الوصفي والتوليدي- صوب تمثل نماذج التحليل التجريدي، التي انجذبت إلى سمة التشكل النسقي والتوليدي للنظام اللساني

المضمر بتعطيل الفاعلية الإنجازية التي يفضي إليها الأداء الكلامي، والاكتفاء بالقدرة الفطرية التي تمتلكها اللغة الطبيعية بالقوة، عوض الالتفات إلى حيز الإنجاز بالفعل الذي يمنحها مكنة التفاعل مع الواقع الاستعمالي والتجاوب مع متغيراته.

ومن ثم، فإن محاولة استبيان الموقف التصوري للدرس اللساني من الخطاب الطبيعي، يفضي بنا إلى الوقوف على توجهات لسانية متباينة امتثلت لشرائط الصورنة ومحدداتها المنطقية حينا، وانتصرت لحيوية السياق حينا آخر، وهو ما يمكن أن نتلمسه من خلال المقاربة التشجيرية المثبتة أدناه

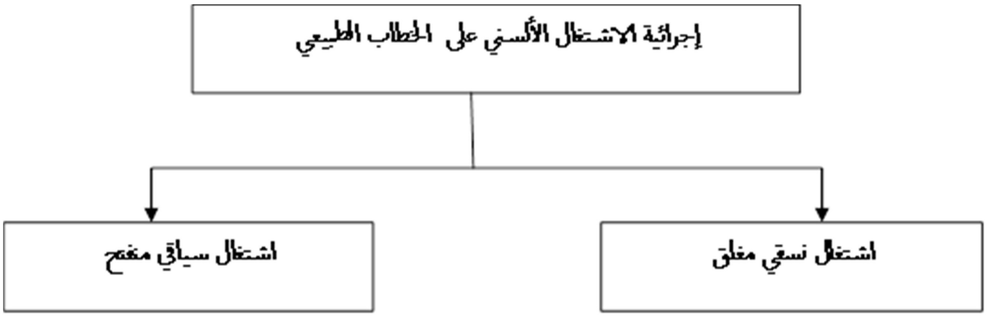

02- الأنموذج اللساني الصوري وآلية الاشتغال على اللغة الطبيعية:

2-1-الإطار المرجعي لصورنة اللغة الطبيعية في البلاغة الكلاسيكية:

تأسس الأنموذج الجدلي لمبحث اللغة على أسس تجريدية صورية، ترتهن إلى المنطق بوصفه « آلة استخراج الأفكار الواضحة واليقينية التي لا لبس فيها ولا غموض أو تعارض أو تناقض [...] من خلال طابعه الاختزالي الجوهري الذي يقوم بتقليص الأفكار إلى قضايا والألفاظ إلى رموز»[10] صورية مفرغة من حيوية السياق.

وقد تكرّس هذا المشروع في البلاغة الكلاسيكية، حيث اتضحت ملامحه مع التوجه الخطابي السفسطائي• الذي تبنّى مقولات جدلية تضليلية، أنتجت بلاغة تعنيفية تعاملت مع الخطاب بوصفه مشروع غواية، وسبيلا لتملك فضاءات السلطة باللجوء إلى آليات القياس المغالطي[11]، لتبرز معرفة جدلية مضادة تنهض على أساس عقلاني، عمد إلى تقويض القياس السفسطائي وتفتيت مسلماته المغالطة، بسبيل عقلاني مثالي تبناه أفلاطون، وسبيل عقلني تجريبي استشرف أفقه أرسطو، بالاعتماد على تقنية الجدل لصورنة اللغة ضمن إطار برهاني يدحض فكرة المحتمل والمرجح[12]، فالجدل « بالنسبة لأرسطو لا يعني فتح الحوار حول الحقيقة على مجال احتمالي غير محدود، بل سيكون الأرضية التي يبنى عليها اليقين البرهاني [...]، فبينما يفضي الحوار في الخطابة السفسطائية إلى انتصار المحتمل واللامتوقع، فإنه يفضي في الجدل الأرسطي إلى انتصار اليقيني المصادر والمحصل منطقيا»[13]. وبذلك تمّ صورنة الخطاب في شكل مقدمات برهانية تفضي إلى نتيجة حتمية باستثمار الإمدادات الجدلية التي يطرحها اللوغوس « واضعا خارج الدائرة الصورية التي يشكلها الاستدلال كل جدال اجتماعي أو نفسي، ومستبعدا البعد الإنساني في عملية البرهنة»[14] والاستقراء المنطقي، وهو

المنطلق المرجعي الذي عوّلت عليه اللسانيات الوصفية والتوليدية لصياغة المقولات التصورية واقتراح المناويل الإجرائية لمقاربة اللغة الطبيعية على المستوى الألسني.

2-2- المنوال الألسني المحايث ومقاربة اللغة الطبيعية:

عمدت اللسانيات بدءا من لحظة ظهور المشروع البنوي إلى عزل اللغة عن مقامات التواصل المتنوعة وتعطيل الفاعلية الإنجازية للكلام، وهو ما تكرّس إثر إعلان "دو سوسير" عن انحصار الدور التحليلي للسانيات الوصفية ضمن الحدود النسقية المغلقة، التي يشتغل فيها اللسان اشتغالا آنيا، يستوجب إقصاء الكلام واستبعاد الذات الإنسانية، « كشرط لإمكان الانحصار داخل حدود السياج الوصفي التصنيفي، وكسبيل إلى تعيين اللغة كظاهرة علمية قابلة للتفكك»[15] والخضوع لسلطة العلائق المنطقية المجردة، حيث تعاد «صياغة أسئلة اللغة كأسئلة المنطق، وهذا ينبني على إمكانية تفتيت اللغة إلى عناصرها الذرية الدقيقة، ومنه يمكن مطابقة قوانين اللغة مع قوانين العلوم الدقيقة »[16].

وبذلك هيّأ "دو سوسير" الأرضية لإفراز خطاب لساني يؤسس لمشروع بنوي، يتفاعل مع الشق التجريدي للغة الطبيعية، فهو إذ يتعامل مع اللغة بوصفها موضوعا مجردا « ونسقا نوابضه خارجة عن الفرد»[17]، يستهدف طمس معالم الواقع الاستعمالي للكلام، وإحلال الملمح الافتراضي للسان كسبيل إجرائي لتأسيس نظرية لسانية تشتغل على توصيف القدرة المثالية المجردة التي يشتغل وفقها النظام اللساني.

ولاشك أن هذا المسعى، لم يبق حبيس المقولات التأسيسية للسانيات البنيوية، وإنما امتدّ إلى حد أسهم في بعث فتنة لسانية، انشغلت بهمّ صورنة اللغة ونمذجة مكوناتها، مما أدى إلى ظهور خطاب لساني مضاد للخطاب الطبيعي، يمارس حضوره الصوري بمنأى عن التفاعل اللغوي، إذ يخضع لسلطة العلاقات المنطقية المجردة، التي أفرزت خطابا اصطناعيا، يتكئ على عتبة صورية، تنهض « على مجموعة من الرموز التي تقترن فيما بينها لتنتج قضايا تتولد عنها، بواسطة قواعد محددة، وتعابير يصطلح عليها بالتعابير سليمة التركيب، لنختار بعد ذلك ضمن هذه المجموعة مجموعة جزئية نعتبرها كمسلمات، ونعتمدها لاستنباط مبرهنات النسق»[18].

وقد تكشفت معالم الخطاب الاصطناعي، إثر الاهتداء إلى إجرائية الصورنة لوصف واحتواء النظام الداخلي للغة الطبيعية، والاعتماد على تقنية الترميز الرياضي لتقديم مقاربة ألسنية تنأى عن الالتباس البنوي الناتج عن الغموض الذي تتسم به اللغة الطبيعية نتيجة ارتباطها بالسياق الذي يشتغل أحيانا على تجريدها من المعنى التواضعي وإكسابها معنى استعماليا يخضع لموقف تخاطبي محدد. « ولهذا لم يعد دور اللساني ينحصر في الملاحظة والوصف والتصنيف، بل اتسع ليشمل التمثل والبناء وفق فرضيات معينة ومحددة»[19]، تسمح باستخدام أدوات صورية لمقاربة الخطاب الطبيعي، ونمذجة مكوناته وفقا لشروط ومعايير الاشتغال الابستمولوجي التجريبي الذي دفع اللسانيات إلى اكتساب القيمة التعبيرية والاستدلالية التي تمتلكها العلوم الصورية كالرياضيات والمنطق[20]، والتي تؤهلها لوصف لغة ما وصفا صوريا « بشكل يستلزم تعويضها بلغة متواطئة يأخذ فيها كل رمز معنى واحدا ومحددا»[21]، يعكس التمثيل الصوري للغة الطبيعية (**اللغة الموصوفة**) عبر إجرائية التعبير والتأويلّ التي تؤديها اللغة الاصطناعية (**اللغة الواصفة**)[22]، التي تقتضي «استخدام إجراءات ومعايير كافية تمكّننا من التعبير عن نظرية ما على شكل نسق استنباطي»[23]، انتهى باللسانيات –لاحقا- إلى الاقتراب من منظومة المعارف الصورية.

ومن ثم، فقد شهد الدرس اللساني تحولات منهجية عميقة وقوية انتقلت بمحور الدراسة من مرحلة التصنيف والوصف المعياري إلى رحاب ارتادت فضاءات تجريدية وتجريبية أعمق، حيث تحدد الموقف المنهجي للسانيات البنيوية بابتناء نسق تحليلي تتقاطع فيه آليات التحليل اللساني مع آليات التحليل المنطقي والرياضي، استحال على إثرها النظام العلاماتي للغة الطبيعية إلى نسق« صوري يتضمن مجموعة من الحسابات والمعادلات الرياضية، وكذلك زمرة من القواعد المجردة والرموز المنطقية»[24].

وقد تعمقت هذه الرؤية التحليلية، وتكرّست بفعل تماهي النحو التوليدي مع المنطق الأرسطي، والارتهان إلى مسلماته لصياغة التصور المنهجي للنظرية التوليدية التحويلية، فلئن كان "**دو سوسير**" يمثل نقطة انعطاف حادة في إحداث قطيعة مع التراكم المعرفي للسانيات التاريخية والمقارنة، فإن حدث الانعتاق عن الأنموذج الوصفي التصنيفي، قد تكشفت ملامحه مع القطيعة الثانية في اللسانيات المعاصرة، إثر رفض "**تشومسكي**" الإقرار بتصورات المنهج السلوكي في معالجة الظاهرة اللغوية، وتتجلى هذه القطيعة «في وضع نظرية لسانية جديدة تختلف في تصوراتها الأساس، ومنهجيتها التحليلية للظواهر اللغوية عن النظريات السابقة عليها، كما تتجلى هذه القطيعة في المفاهيم والأدوات الإجرائية الدقيقة التي تمّ اقتراحها»[25]، قصد اختزال الطاقة التوليدية للغة الطبيعية ونظامها النسقي ضمن حدود مغلقة، لجأ فيها « التوليديون إلى استعمال لغة صورية ذات مستوى عال من الضبط والدقة، هي نفسها المستعملة في المنطق الصوري التي تهدف إلى استنباط قصية صحيحة، أو توضع على أنها صحيحة من قضية أخرى صحيحة أو يفترض أنها كذلك عن طريق قاعدة استنباط، ويتمتع النسق الصوري بمستوى مثالي من الموضوعية باعتباره مستقلا عن المستعمل وعن التأويل المرتبط بالمادة المدروسة»[26].

وعليه، وفي ظل الاستسلام المطلق لسلطة القياس المنطقي، والاعتماد على أدواته الإجرائية، تصلبت دعائم الخطاب الاصطناعي وتعضدت أركانه إلى درجة استحال على إثرها الخطاب الطبيعي إلى شكل صوري معزول عن شروط إنتاجه السياقية، مما أفرز وضعا ابستمولوجيا صارما، انشغل بهمّ مقاربة الطبيعي بالاصطناعي، أو اختزال الطاقات الإبداعية المتنامية للغة الطبيعية ضمن قوالب رمزية جامدة مفرغة من الدلالة ومستقلة عن الذات والسياق، فقد أثبتت الأطروحات اللسانية التي عمدت إلى صورنة الخطاب الطبيعي، أنها « لم تتمكن من تجاوز مستوى الصياغة الصورية لبعض قضايا اللغة الطبيعية»[27] القابلة للاختزال، فالاتكاء على العتبة الصورية لاحتواء الخطاب الطبيعي يستدعي استحضار التباين بين اللغة الاصطناعية والطبيعية[28] الذي يرّتد « إلى طبيعة بنية هذه اللغة ذاتها، وكذا الآليات الصورية التي توظفها في تمثيلها وبنائها، وقد أكدت بعض الدراسات أن الغموض الدلالي للغة الطبيعية، وكذا عدم التحديد اللذان يطبعان بنيتها يحولان دون إمكان وصفها وتمثيلها باعتماد الأنساق الصورية، لكون مسلسل فهم الخطاب الطبيعي يقتضي قراءات عدة وتأويلات مختلفة تحول أحيانا دون إمكان دراسة الظاهرة اللغوية بشكل واضح وتخريجها تخريجا كاملا »[29].

دفعا لهذه المغالبة الصورية المتصلبة، تولدت رغبة ملحة لولوج آفاق معرفة لسانية مرنة، تنجذب صوب البعد الاستعمالي للخطاب الطبيعي ليتهيأ لها سدّ تلك الثغرة التي خلّفتها الدراسات اللسانية ذات النزوع البنوي والتوليدي،

مستثمرة قيمة القصد التداولي« ذلك أن خاصية القصد L'intentionnalité في اللغة لا تساعد على بناء الدلالة فقط، بل على الدفع بهذه الدلالة إلى بناء فعل هو فعل الكلام»[30].

إزاء هذا الوضع، وفي ظل إيغال الاتجاه المحايث في تبني مقولات النسق والانغلاق عليها، بفعل التحفيز البنوي من جهة، والافتتان بالنحو التوليدي من جهة أخرى، اتضحت ملامح معرفة لسانية مغايرة، اشتغلت على الإخلال بالشرائط المنهجية التي يفرضها الاتجاه المحايث وتقويضها باستشراف الأفق الإنجازي للخطاب الطبيعي، فكان أن عمدت التداولية إلى صياغة أنموذج ألسني تخلّص من أسر صورنة اللغة، بتقليص دور التحليل اللساني المنطقي، والتعامل مع الأقوال اللغوية بوصفها أفعالا منجزة في الواقع الخارجي.

3-آلية الاشتغال التداولي على اللغة الطبيعية:

ظهرت مؤشرات المقاربة التداولية للغة بشكل فلسفي، إثر الانزياح عن النظرة المثالية للغة، والارتكان إلى فلسفة اللغة العادية التي تبلورت لدى "فيتجنشتاين L. Wittgenstein" على نحو يتأتّى من خلاله« إعادة الكلمات من استخدامها الميتافيزيقي إلى استخدامها اليومي»[31] بالعودة إلى واقعها الاستعمالي بدلا من الاكتفاء بمعلمها المنطقي الافتراضي الموروث عن التصور الأرسطي.

وبذلك قدّم "**فيتجنشتاين**" مشروعا فلسفيا ينحو صوب تمثل التصور التداولي ذي الطابع الاستعمالي للغة، التي لم تعد مجرد لغة اصطناعية ذات شكل صوري مستقل، يستوجب الانعزال عن الاعتبارات السياقية، وإنما غدت ممارسة واقعية و« فاعلية تشبه أكثر ما تشبه ممارسة اللعبة وألعاب اللغة كثيرة ومنوعة، ولا يكمن المعنى في علاقة التصوير بين القضية والواقعة، أو علاقة الإشارة أو التمثيل بين الكلمة والشيء، وإنما معنى الكلمة هو استعمالها في اللغة»[32].

إن هذه المقاربة الاستعارية التي اهتدى إليها "**فيتجنشتاين**" والتي تم على إثرها إحالة الفاعلية اللغوية إلى لعبة لغوية، تفضي إلى إمكانية طرح تساؤل مزدوج في ظل هذه المقاربة، يتبدّى على النحو الآتي: « ما هي الكلمة في حقيقتها مشابه للسؤال ما هي قطعة الشطرنج»[33].

ولفضّ مغاليق هذه الإشكالية يستوجب "**فيتجنشتاين**" استثمار البعد الاستعمالي التداولي، إذ يقول: « إن الشخص الذي يعرف بالفعل ما الذي يفعله بقطعة الشطرنج، هو وحده الذي يستطيع أن يسأل بطريقة ذات معنى عن اسم هذه القطعة»[34]، بخلاف التساؤل الشكلي الذي يتطلب التوصيف المادي لعناصر اللعبة، مما يدفع إلى تناظر شكل قطعة الشطرنج مع صوت الكلمة أو شكلها بمنأى عن سياقها[35].

وقد عمد "**فيتجنشتاين**" إلى هذا الاشتغال الاستعاري قصد إرساء قواعد اللعبة اللغوية، وفقا للإمكانات المتنوعة التي يطرحها الاستعمال اللغوي. ومن ثم، فإن الألعاب اللغوية –من منظوره- شبيهة بتلك التي نمارسها في حياتنا اليومية، إذ تغدو اللغة بمثابة لعبة تخضع لقواعد خاصة نابعة من طبيعتها الواقعية. وهذا يعني أن القواعد لا تشتغل وفقا لاستراتيجية محددة سلفا، « فبينما توجد بعض الألعاب مثل الشطرنج التي لها قواعد دقيقة، توجد ألعاب أخرى ليس لها قواعد مثل قذف الكرة، وعندما نفكر في اللغة بوصفها رمزية مستخدمة في سياق دقيق، فإن ما يكون في عقلنا هو اللغة كما تستخدم في العلوم والرياضيات، ولكن استعمالنا العادي للغة لا يؤيّد هذا المعيار بالدقة إلا في حالات نادرة»[36].

وبذلك تكشّفت معالم رؤية فلسفية، استثمرت الطاقات التدليلية التي يطرحها الخطاب الطبيعي نفسه ضمن مسعى تحليلي يتوخى مقاربة الخطاب الطبيعي بآليات إجرائية تستمد منه بوسائط صورية تحيله إلى خطاب اصطناعي متصلب.

في ظل هذا التوجه الفلسفي المنفتح على الطاقة الاستعمالية للغة العادية، ظهرت التداولية لتواكب حركية هذا التوجه، وتتصدّى لمشروع الصورنة الذي أوغلت اللسانيات والتيارات المنطقية في تبنّيه، إذ أتيح لهذا التصور التداولي التجلي عبر ممارسات تحليلية باشرت الاشتغال عبر نظرية **"الأفعال الكلامية"** التي اكتسبت طابعا إنجازيا إثر الانتقال بمحور الدراسة اللغوية من البعد الوصفي إلى البعد الفعلي، وذلك من خلال التفريق بين الجمل الإخبارية والإنشائية، وتجاوز الاعتقاد الفلسفي التقليدي الذي « لا يعترف [...] إلا بنمطين من التكوينات اللسانية: القضايا/ الجمل التي لها معنى صادقة أو كاذبة (Vraies au fausses)»[37]، إذ يشير (**أوستين**) إلى تفريع آخر يأخذ بفكرة « أن اللغات الطبيعية تنتظم حول تمييز وظيفي بين نمطين من الملفوظات (باستثناء تلك التي ليس لها معنى) هما الملفوظات التقريرية Constatifs التي تصف وضعا، والملفوظات الإنجازية التي تسمح بإنجاز فعل ما»[38]. ومن ثمّ، قرّر أوستين التخلي عن تقسيمه الثنائي (تقريرات/إنجازيات)، وإضفاء سمة الإنجاز على كل الملفوظات بما فيها التقريرية.

وعليه باشر (**أوستين**) مشروعه التداولي بالتفاعل مع قدرة الملفوظ على إحداث تغيير في العالم بدلا من توصيفه، فالتمييز « بين الملفوظ الخبري والملفوظ الانشائي [....] ينهض على الاختلاف بين قول شيء ما، وصنع شيء ما بواسطة اللغة»[39]، على نحو ما نلفيه في جمل من قبيل «**"آمرك بالصمت"** [....] أو **"أعدك بأن آتي غدا"**. ففي هذه الجمل لا نقول شيئا عن حالة الكون، وإنما نسعى إلى تغييره، فقائل **"آمرك بالصمت"** يسعى إلى فرض الصمت على مخاطبه، يحتمل أنه يسعى إلى الانتقال من حالة الضجيج في الكون إلى حالة السكون فيه، [....] وقائل **"أعدك بأن آتي غدا"** يخلق التزاما وضربا من العقد الأخلاقي بينه وبين مخاطبه، وهو عقد غير موجود قبلا»[40].

ولئن كانت التداولية مع (**أوستين**)، قد استقطبت البعد الاستعمالي والسياقي للغة، فإنها ما انفكت تشهد منعطفا لسانيا جديدا[41]، ارتسم من خلاله **"قرايس** (P.H. Grice) " معالم نظرية الاستلزام الحواري (Implicature conversationnelle)، والاستلزام الوضعي(implicature conventionnelle)، باستحضار البعد القصدي، « ويتمثل مشروع غريس باختصار، في تحديد أخلاقيات التواصل الكامنة في دينامية التبادلات (échanges)، فهو يحدد خطاطة نقد للعقل التواصلي، وإلى جانب المعنى الذي يمكن لمجموعة من الملفوظات أن تؤديه بموجب المواضعات اللسانية وحدها، ينبه غريس إلى أنه ينبغي السماح بمستوى آخر من المعنى ناتج عن آليات دلالية مرتبطة بالسياق »[42]، تستوجب حضور مبدأ القصد، وتؤكد على حتمية حضوره ضمن خطاطة الفعل التواصلي.

4-مناويل مقاربة اللغة الطبيعة في ظل الأنموذج الحجاجي ومشروع البلاغة الجديدة:

اكتسب الأنموذج الحجاجي موقعا متميزا ضمن المقاربات اللسانية التداولية، إذ انخرط ضمن مشروع تجاوزي، استشرف أفق الانفلات عن أسر الصياغة الصورية المتصلبة، وراهن على انبعاث بلاغة جديدة تحددت معالمها مع "بيرلمان *C. Perelman*"، الذي عمد إلى استدعاء الأنموذج البلاغي كسبيل تأسيسي لنظرية حجاجية، استفادت من الروافد المعرفية للتداولية وتبصراتها النظرية « ففي الوقت الذي فقدت فيه البلاغة جانبها التداولي المباشر، وانحلت إلى مجرد خطاب يهتم بالفصاحة أو الخطاب "الجميل"، واختزلت في فن الأسلوب والأشكال الخطابية، تلبست الفلسفة

بالرؤية البراغماتية المعاصرة للغة والعالم والظواهر الاجتماعية والإنسانية»[43]، مما دفع إلى انبثاق بلاغة جديدة انخرطت «في صلب الحياة العملية باستثمار الحياة النصية»[44]، وبذلك تخلّصت البلاغة من الحس التعليمي الذي أحال الفاعلية البلاغية إلى مجرد فاعلية تعليمية، تتعقب فصاحة الكلمة وبيانها، وتمارس دورها ضمن الحدود الأكاديمية الموجهة[45].

إن هذا المسعى البلاغي الجديد الذي تكشّفت ملامحه مع "بيرلمان" يراهن على تقديم أنموذج معرفي بديل عن الأنموذج الصوري الذي تكرست حدة انغلاقه بفعل التصور الديكارتي الذي انجذب صوب التحليل الرياضي[46]، فكان أن تهيّأ لصياغة مشروع حجاجي، ينهض على تقنيات حجاجية إقناعية، تعين على « التحكم في إمكانات اللغة لأجل التواصل مع الآخرين وإقناعهم» [47] بشكل عقلاني سلس، ينأى به عن « ممارسة العنف الإقناعي، كما يبتعد عن الإغراء أو البرهنة العلمية»"[48]، ويشب عن طوق عقلانية ديكارت الصارمة، ويستشرف الأفق البلاغي الأرسطي، قصد الاستفادة من آلية التحليل الجدلي ضمن فضاء تواصلي تفاعلي، ينأى عن صنمية الأنظمة الصورية، فيراعي «الاعتبارات الذاتية التي عمل النموذج العقلاني على تلافيها»[49]. ومن ثم، عمد "بيرلمان" إلى إحداث قطيعة معرفية مع الموروث البلاغي الديكارتي، إذ اعتبر أن مفهوم العقل الذي يفرزه هذا التصور « لا يتمتع بالكفاية في مجالات غير خاضعة للحساب، مثل المجال الإنساني الذي يستمد فيه الحجاج قوته من تأثيره في المتلقي، وليس من صرامته أو مطابقة محتواه للوقائع»[50].

فلئن كان التصور الجدلي يؤمّن صلابة الآلية التحليلية بصورنة اللغة الطبيعية، وتثبيتها بشكل رمزي يحيلها إلى لغة اصطناعية، فإن الممارسة الحجاجية «تفتح ما يغلقه المنطق»[51]، إذ تعمد إلى استثمار الطابع الاستنباطي للغة الطبيعية الذي يعوّل على السمة الحجاجية التي تتصف بها، « فإذا كانت اللغة سلطة فإن القوة الدافعة لهذه السلطة هي الحجاجية»[52] التي تسم الخطاب الطبيعي بعلامة مائزة تفرقه عن الخطاب الاصطناعي. وبذلك تسنّى للمبحث الحجاجي« ربط اللغة بالمنطق، ولكن ليس من خلال البحث عن مطابقتها اصطناعيا مع قواعد المنطق الرمزي، بل من خلال تفكيك المنطق الداخلي للغة الطبيعية أي الطابع الاستدلالي لعناصرها»[53] المبني على أساس «حرية الاختيار على أساس عقلي» [54] بعيدا عن إكراهات المنطق الصوري.

5-الخاتمة والنتائج:

لا يخفى على الدارسين تشعب إشكالية ثنائية اللغة الاصطناعية واللغة الطبيعية، وما يستتبع البحث من التعمق في مسألة الانعطاف اللغوي وتشعباته الفلسفية بين الفلسفة التحليلية وفلسفة اللغة وتبصرات فتجنشتاين الأول والثاني . إلا أن صرامة البحث العلمي وتحديداته المنهجية وتقييداته الكمية جعلت موضوع الدراسة يركّز اهتماماته على التحولات المعرفية التي قادت البحث اللساني من الصورنة الصارمة إلى الانعتاق التداولي وكيفية انتقال البحوث اللسانية إلى الفضاء الرحب لاستعمال اللغة كفعل وممارسة على حساب التجريد الهيولي للغة كنسق ونظام .

في ظل هذا المسعى، خلصت الدراسة إلى جملة من المقولات الجوهرية نوردها على النحو الآتي:

- ✓ شهدت نماذج المقاربة اللسانية تحولات إجرائية ومنهجية عميقة كان لها الدور الجوهري في تحديد مناويل مقاربة اللغة الطبيعية، وقد كان من بين الانعطافات الكبرى التي تعرضت لها اللسانيات الانتقال من النموذج الصوري القائم على التجريد إلى النموذج التداولي الذي يركز على الأبعاد التفاعلية والتخاطبية للغة.

- ✓ أثبتت الدراسات اللسانية عجز المقاربة الصورية عن احتواء الدينامية الدلالية للخطاب الطبيعي، مما يحد من فعاليتها في تفسير اللغة ضمن سياقاتها الواقعية.
- ✓ ركزت التداولية بمختلف نماذجها التنظيرية على القوة التحليلية التي تطرحها بنية اللغة الطبيعية بدلا من اصطناع لغة رمزية ترتهن إلى صلابة الآلية التحليلية التي يعتمد عليها الخطاب الاصطناعي.
- ✓ أسهمت التطورات اللسانية والفلسفية في ترسيخ تصور جديد للغة يعتمد على الفعل الإنجازي والتأويل التداولي، ما يعكس أهمية السياق السوسيوثقافي في تشكيل المعنى.
- ✓ شغل السياق دورًا مركزيًا في تشكيل المعنى الذي تؤدّيه اللغة الطبيعية، فالبعد الحجاجي عنصر أساسي في نسج الخطاب الطبيعي، مما يميزه عن اللغة الاصطناعية التي تعتمد على أنساق رمزية مغلقة.
- ✓ اللغة الطبيعية ليست مجرد منظومة من العلامات الرمزية، بل هي كيان تداولي اجتماعي حي ينبض بالحركة والتفاعل، ويتجاوز الحدود التركيبية ليصبح أداة للإقناع والتأثير وصناعة الواقع.

هوامش:

1- **عمارة ناصر**،(2009)، الفلسفة والبلاغة، مقاربة حجاجية للخطاب الفلسفي، ط01، الجزائر، منشورات الاختلاف، ص17.

2- **توبي لحسن**، (2020)، الحجاج والبنية المعرفية، بحث في الاكتساب، ط01، القاهرة، مصر، دار رؤية للنشر والتوزيع، ص89.

3- **ينظر**، المرجع نفسه، ص89، **حسان الباهي**، (2015)، اللغة والمنطق، بحث في المفارقات، ط01، الرباط، المغرب، دار الأمان، ص64.

4- **مقبول إدريس**، (2004)، البعد التداولي عند سيبويه، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، عدد01، المجلد 33، يوليو، سبتمبر، ص245.

5- **ماري آن بافو، جورج إليا سرفاتي**، (2012)، النظريات اللسانية الكبرى، من النحو المقارن إلى الذرائعية، ترجمة مُحمَّد الراضي، ط01، بيروت، لبنان، المنظمة العربية للترجمة، ص351.

6- ينظر، الزواوي بغورة، (2005)، الفلسفة واللغة، نقد المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة، ط01، بيروت، لبنان، دار الطليعة للطباعة والنشر، ص202.

7- **مصطفى غلفان بمشاركة مُحمَّد الملاخ، حافظ اسماعيلي علوي**، (2010)، اللسانيات التوليدية من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الإدنوي: مفاهيم وأمثلة، ط01، إربد، الأردن، علم الكتب الحديث، ص74.

8- **عمارة ناصر**، الفلسفة والبلاغة، مقاربة حجاجية للخطاب الفلسفي، ص15.

9- **مصطفى غلفان بمشاركة مُحمَّد الملاخ، حافظ اسماعيلي علوي**، اللسانيات التوليدية من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الإدنوي، ص43.

10- المرجع نفسه، ص75.

●-السفسطائية تيار فكري فلسفي انبثق في العالم الإغريقي بأثينا في القرن الخامس قبل الميلاد، وتعد هذه التسمية في الأصل لقب تقدير، إذ تعني في معناها الاشتقاقي الحكيم والرجل ذو الكفاءة المتميزة في كل شيء.

ينظر، **حمادي صمود وآخرون**، (د.ت)، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمادي صمود، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، تونس، كلية الآداب، ص54

11- ينظر، المرجع نفسه،ص51.

12-ينظر، **توني لحسن**، الحجاج والبنية المعرفية، بحث في الاكتساب، ص47 وما بعدها

13- **عمارة ناصر**، الفلسفة والبلاغة، مقاربة حجاجية للخطاب الفلسفي، ص21.

14- المرجع نفسه، **عمارة ناصر**، الفلسفة والبلاغة، مقاربة حجاجية للخطاب الفلسفي، ص86.

15- **عمارة ناصر**، (2007)، اللغة والتأويل، مقاربات في الهرمينوطيقا الغربية والتأويل العربي الإسلامي، ط01، بيروت، لبنان، الدار العربية للعلوم، ناشرون، دار الفارابي، منشورات الاختلاف، ص60.

16- المرجع نفسه، ص59-60.

17- **ماري آن بافو، جورج إليا سرفاتي**، النظريات اللسانية الكبرى، من النحو المقارن إلى الذرائعية، ص105.

18- **حسان الباهي**، اللغة والمنطق، بحث في المفارقات، ص27.

19- المرجع نفسه، ص48.

20-**محمد العمري**، (2012)، الأسس الابستمولوجية للنظرية اللسانية، البنوية والتوليدية، ط01، عمان، الأردن، دار أسامة للنشر والتوزيع، ص102.

21- **حسان الباهي**، اللغة والمنطق، بحث في المفارقات، ص46-47.

22- **للتمييز بين اللغة الواصفة واللغة الموصوفة، ينظر**، المرجع نفسه، ص18.، 64.

23- **حسان الباهي**، اللغة والمنطق، بحث في المفارقات،ص50.

24- **مصطفى غلفان** اللسانيات التوليدية من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الإدنوي ص19.

25- المرجع نفسه، ص01.

26- المرجع نفسه، ص76.

27- **حسان الباهي**، اللغة والمنطق، بحث في المفارقات، ص47.

28- **ينظر الفروق بين اللغة الطبيعية والاصطناعية لدى حسان الباهي**، اللغة والمنطق، بحث في المفارقات، ص64.

29- المرجع نفسه، ص65.

30- **عمارة ناصر**، الفلسفة والبلاغة، مقاربة حجاجية للخطاب الفلسفي، ص68.

31- **لودفيج فتجنشتين**، (د.ت)، بحوث فلسفية، ترجمة وتعليق عزمي إسلام، مراجعة وتقديم، عبد الغفار مكاوي، جامعة الكويت، ص108.

32- **هانس سلوجا**، (2014)، فتجنشتين، ترجمة وتقديم، صلاح اسماعيل، ط01، القاهرة، مصر، المركز القومي للترجمة، ص24.-25.ص24.-25.

33- **لودفيج فتجنشتين**، بحوث فلسفية، ص106.

34- المرجع نفسه، ص65.

35- ينظر، المرجع نفسه، ص64.

36- المرجع نفسه، ص127.

37- **ماري آن بافو، جورج إليا سرفاتي**، النظريات اللسانية الكبرى، من النحو المقارن إلى الذرائعية، ص354.

38- المرجع نفسه، ص355.

39- **جون لاينز**، (2010)، الصيغة والقوة اللاقولية، ترجمة، صابر الحباشة ط01، في كتابه، لسانيات الخطاب، الأسلوبية والتلفظ والتداولية، اللاذقية، سوريا، دار الحوار للنشر والتوزيع، ص200.

40- **آن روبول، جاك موشلار**، (2003)، التداولية اليوم، علم جديد في التواصل، ترجمة سيف الدين دغفوس، مُحَمَّد الشيباني، مراجعة لطيف زيتوني، ط01، بيروت، لبنان، دار الطليعة للطباعة والنشر، ص30.

41- **بغوره، الزواوي**، (2005)، الفلسفة واللغة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت لبنان،ص 99.

42- **ماري آن بافو، جورج إليا سرفاتي**، النظريات اللسانية الكبرى، من النحو المقارن إلى الذرائعية، ص368.

43- **عمارة ناصر**، الفلسفة والبلاغة، مقاربة حجاجية للخطاب الفلسفي، ص123.

44- المرجع نفسه، ص114.

45-ينظر، **فليب بروطون**، (2013)، الحجاج في التواصل، ترجمة مُحَمَّد مشبال، وعبد الواحد التهامي العلمي، ط01، القاهرة، مصر، المركز القومي للترجمة، ص11.

46-ينظر، المرجع نفسه، ص10-11.

47- المرجع نفسه، ص09-10.

48- المرجع نفسه، ص26.

49- **أمينة الدهري**، (2011)، الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة، ط01، الدار البيضاء، المغرب، الشركة النشر والتوزيع المدارس، ص06.

50- **المرجع نفسه**، ص11.

51- **عمارة ناصر**، الفلسفة والبلاغة، مقاربة حجاجية للخطاب الفلسفي، ص87.

52- المرجع نفسه، ص119.

53- المرجع نفسه، ص115.

54- **توبي لحسن**، (2020)، الحجاج والبنية المعرفية، بحث في الاكتساب، ص61.

قائمة المراجع:

01- **أمينة الدهري**، (2011)، الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة، ط01، الدار البيضاء، المغرب، الشركة النشر والتوزيع المدارس.

02- **آن روبول، جاك موشلار**، (2003)، التداولية اليوم، علم جديد في التواصل، ترجمة سيف الدين دغفوس، مُحَمَّد الشيباني، مراجعة لطيف زيتوني، ط01، بيروت، لبنان، دار الطليعة للطباعة والنشر.

03- **حمادي صمود وآخرون**، (د.ت)، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمادي صمود، تونس، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، ، كلية الآداب.

04- **توبي لحسن**، (2020)، الحجاج والبنية المعرفية، بحث في الاكتساب، ط01، القاهرة، مصر، دار رؤية للنشر والتوزيع.

05- **جون لاينز**، (2010)، الصيغة والقوة اللاقولية، ترجمة، صابر الحباشة ط01، في كتابه، لسانيات الخطاب، الأسلوبية والتلفظ والتداولية، اللاذقية، سوريا، دار الحوار للنشر والتوزيع.

06- **حسان الباهي**، (2015)، اللغة والمنطق، بحث في المفارقات، ط01، الرباط، المغرب، دار الأمان.

07- **الزواوي بغورة**، (2005)، الفلسفة واللغة، نقد المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة، ط01، بيروت، لبنان، دار الطليعة للطباعة والنشر.
08- **عمارة ناصر**، (2007)، اللغة والتأويل، مقاربات في الهرمينوطيقا الغربية والتأويل العربي الإسلامي، ط01، بيروت، لبنان، الدار العربية للعلوم، ناشرون، دار الفارابي، منشورات الاختلاف.
09- **عمارة ناصر**،(2009)، الفلسفة والبلاغة، مقاربة حجاجية للخطاب الفلسفي، ط01، الجزائر، منشورات الاختلاف.
10- **فليب بروطون**، (2013)، الحجاج في التواصل، ترجمة مُحَمَّد مشبال، وعبد الواحد التهامي العلمي، ط01، القاهرة، مصر، المركز القومي للترجمة.
11- **لودفيج فتجنشتين**، (د.ت)، بحوث فلسفية، ترجمة وتعليق عزمي إسلام، مراجعة وتقديم، عبد الغفار مكاوي، جامعة الكويت.
12- **ماري آن بافو، جورج إليا سرفاتي**، (2012)، النظريات اللسانية الكبرى، من النحو المقارن إلى الذرائعية، ترجمة مُحَمَّد الراضي، ط01، بيروت، لبنان، المنظمة العربية للترجمة.
13- **مُحَمَّد مُحَمَّد العمري**، (2012)، الأسس الابستمولوجية للنظرية اللسانية، البنوية والتوليدية، ط01، عمان، الأردن، دار أسامة للنشر والتوزيع.
14- **مصطفى غلفان بمشاركة امُحَمَّد الملاخ، حافظ اسماعيلي علوي**، (2010)، اللسانيات التوليدية من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الإدنوي: مفاهيم وأمثلة، ط01، إربد، الأردن، علم الكتب الحديث.
15- **مقبول إدريس**، (2004)، البعد التداولي عند سيبويه، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، عدد01، المجلد 33، يوليو، سبتمبر. ص من 245 إلى ص280.
16- **هانس سلوجا**، (2014)، فتجنشتين، ترجمة وتقديم، صلاح اسماعيل، ط01، القاهرة، مصر، المركز القومي للترجمة.